نهضة التعليم في العراق

للاب سعيد

لعلّ اعظم ما في العراق هذه النهضة التعليمية العظيمة وهذا الاقبال الزائد على طلب العلم والارتشاف من مناهله العذبة

ولقد كان مؤسس دولة العراق عليهِ الرحمة والرضوان يعمل على تعميم التعليم ونشره بمختلف الوسائل والاساليب ويعنى بوجه خاص بتعليم البنت وكان تعليمها غير معروف تقريباً في العراق ابان العهد القديم لاعتقاده بانهُ لا يمكن انشاء اسرة عربية بالمعنى الاجتماعي المفهوم من هذه الكلمة الاّ على يد المرأة المتعلمة ، فالمرأة الجاهلة الخاملة نكبة على نفسها وعلى اهلها وعلى اسرتها وعلى امتها . وكذلك كان يعنى بتحضير العشائر — ويؤلف ابناؤها ٥٥ في المئة من مجموع سكان العراق — ويعمل على نشر التعليم بينهم وتعويدهم الحياة المدنية واذاقتهم طعمها العذب لاعتقاده ايضاً انهُ لا يمكن اصلاح وطن يعيش نصف ابنائه عيشة البداوة ويسيرون على سننها وتقاليدها

ولقد سمعت كثيراً عن الاساليب التي كان يلجأ اليها في نشر تعليم البنات بوجه خاص ، ومما رووه لي ان سكان الكاظمية (وهي قرب بغداد وتعد من ضاحيتها وبينهما ترامواي يسير على الخيل والمسافة ٧ كيلو مترات) أبوا ان يرسلوا بناتهم الى مدرسة البنات التي انشأتها الحكومة في اوائل هذا العهد بامر الملك فلم يدخلها في سنتها الاولى سوى تلميذتين او ثلاث ، وظلّ الامر على ذلك تقريباً في السنة التالية فاقترحت وزارة المعارف اغلاقها لعدم الاقبال عليها فقال انهُ لا يغلقها ولو ظلت المدرسة وحيدة في المدرسة ثم لجأ الى اساليبه الخاصة في حض الناس على التعليم فكان يخاطب الشيوخ والرؤساء والوجهاء الذين يزورونهُ داعياً اياهم الى ارسال بناتهم الى المدرسة ومظهراً فوائد التعليم ولا يدعهم الاّ بعد ما ينال منهم وعداً باجابة طلبهِ ، على ان مهمتهُ ما كانت تنتهي عند هذا الحد بل كان يرقب تأثير سعيهِ عند الذين خاطبهم ومتى اتصل بهِ ان احدهم ارسل بناته الى المدرسة استدعاهُ اليهِ في الغداة وقرّبهُ منهُ وقضى لهُ مصالحهُ ويسّر لهُ امورهُ ، فيسمع ذلك جيرانه فيقتدون بصاحبهم . وقد كانت هذه الطريقة من جملة الاساليب التي ادّت الى رواج تعليم البنات

وانتشاره في انحاء العراق وحسبي ان اقول بان في مدرسة الكاظمية وحدها اليوم نحو ٢٥٠ تلميذة يتعلمن القراءة والكتابة وقد انشأت الحكومة داراً خصصتها بعدما اعترمت الغاءها في السابق كما علمت

وخطا تعليم البنات في هذه السنوات خطوات واسعة وانتشر انتشاراً يذكر فاقيمت المدارس والمعاهد فاقبل عليها الناس اقبالاً يذكر فارتفعت ارقام التلميذات وزاد عدد المدارس كما ينطق بذلك الاحصاء الآتي :

كان عدد مدارس البنات في العراق سنة ١٩٢١ المدرسية اي حين انشاء الدولة الجديدة ٢٧ مدرسة ابتدائية تضم ٣٠٤٩ تلميذة فارتفع في سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ المدرسية الى ٧٤ مدرسة ابتدائية تضم ١٠٦٨٧ تلميذة وتدرّس فيها ٣٧٨ مدرّسة

وهنالك ايضاً ٥ مدارس متوسطة ذات ثلاث صفوف لتعليم البنات : ٢ في بغداد وواحدة في الموصل ومثلها في كل من العمارة والحلة وبعقوبة والبصرة . وقد انشئت مدرسة ثانوية للبنات في بغداد خلال السنة الجديدة وبلغ عدد الطالبات في هذه المدارس خلال السنة الماضية ٤٤٠ طالبة وفي بغداد ايضاً دار معلمات لتخريج مدرسات عدد طالباتها ٣٠

وانشأت حديثاً دار معلمات ريفية في الديوانية لتخريج مدرّسات لمدارس البنات في الارياف وفتحت في هذه السنة ايضاً مدرسة « الفنون البيتية » لتعليم البنات الشؤون المنزلية من تربية الاطفال والعناية بهم والتمريض والخياطة والطبخ والكي ، ويشترط في اللواتي يقبلنَ فيها ان يكنَّ ممن نلنَ الشهادة الابتدائية . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ويبلغ عدد تلامذتها ١٥٠ تلميذة في الوقت الحاضر . ولا بدَّ لنا من الاشارة الى بعثات البنات فقد سارت وزارة المعارف على خطة ارسال الطالبات اللواتي يتخرجن من المدارس المتوسطة الى مدارس بيروت العالية للبنات لاكمال تحصيلهنَّ . وقد جاء في احصاء رسمي ان عددهنَّ بلغ في سنة ١٩٣٣ الماضية ١٨ طالبة يتعلمنَ على نفقة الحكومة

***

ولقد سارت الحكومة في ترقية التعليم وتنظيمه على الأسس التي سارت عليها في العناية بالصحة وكما انشأت وزارة الداخلية لجنة من الاطباء الاخصائيين لوضع تقرير مفصل في الخطط التي يجب السير عليها لمكافحة الامراض ورفع المستوى الصحي فقد جاءت من الولايات المتحدة بعثة من كبار رجال التعليم لدرس حالة المعارف ونظم التعليم والاشارة بما يجب عمله للاسترشاد بآرائها واختباراتها وقد زار هؤلاء العراق شتاء سنة ١٩٣٢ ووضعوا تقريراً مفصلاً مطولاً طبعتهُ الحكومة العراقية على حدة مترجماً وعدد صفحاته ١٧٦ بالقطع المتوسط . وتتألف هذه البعثة من الدكتور بول منرو مدير المعهد الأممي في كلية المعلمين (جامعة كولومبيا) في نيويورك والدكتور وليام كندل والدكتور اذكار واليس نايت والاخيران من أعضاء المعهد الاممي بدار المعلمين ايضاً وانضم اليهم في بغداد الدكتور محمد فاضل الجمالي (المرشد العام لوزارة المعارف العراقية اليوم خبيراً) فقضت شهرين

وبضعة أيام باحثة دارسة . واليك ما قالته في صدد تعليم البنات : « لم تعجب اللجنة بشيء من امور معارف العراق اعجابها بالاهتمام الحقيقي الظاهر في كل مكان بتعليم البنات والنساء ، ومع قلة عدد المدارس فاستحسان الجمهور لها واضح بدليل كثرة اقبال الطالبات عليها وحسن دراستهن في الصفوف المتيسرة وتبرع الجمهور لها . وهنالك ظاهرة اخرى تبعث على الارتياح الكبير وهي اهتمام الطالبات انفسهن بما تهيؤه لهن المدرسة من فرص للقيام بأعمال مفيدة اجتماعية وقد ظهر للجنة من محادثتها عدداً من طالبات الصفوف المتقدمة في المدارس التي زارتها ان التلميذات مولعات بأن يتدربن في المستقبل ويخدمن كمعلمات او طبيبات او ممرضات واختصاصيات حتى ان بعضهن طلبن ان يكن محاميات وموظفات في المصالح العامة الخ »

وهنالك المدارس الطائفية الخاصة بالنصارى واليهود وتساعدها الحكومة وعددها ٤٧ مدرسة عدد تلاميذها ١٢٣١٢ الفاً منهم ١٢٢ تلميذة في المدرسة الاميركية للبنات في بغداد و ٩٦٦ في مدارس البنات للكرمليين و ١٥٧٦ في مدرسة بورا خضوري بنات . ومدرسة البنات الاسرائيليات في البصرة وفيها ٢٩٨ ومدرسة التقديس عبد الاحد في الموصل وفيها ١٧٦ تلميذاً

***

وتقدّم التعليم الابتدائي تقدماً عظيماً في خلال هذه المدة فبعد ما كان عدد المدارس في العراق خلال سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ المدرسية ٧٤ مدرسة تضم ٦٧٤٣ تلميذاً و ٣٦٣ مدرساً ارتفع تدريجاً حتى وصل عدد المدارس في سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ الى ٣٩٠ مدرسة ابتدائية تضم ٤٣٦٤٣ تلميذاً و ١٦٠١ مدرساً وتسير وزارة المعارف على خطة جديدة ترمي الى مساواة الالوية في التعليم وفي عدد المدارس فلا تكثر في مكان ولا تقل في مكان آخر ولا يزاد لهذا ولا ينقص لذاك وهي ترجو ان يتم لها ذلك في سنة ١٩٤٠ فتعم المساواة وينتشر التعليم بنسبة واحدة في كل مكان . وقد انشئت حديثاً في البدعة (شطرة المنتفك) دار معلمين ريفية لتخريج مدرسين للعشائر والقرى

***

ويعنون ايضاً بالتعليم الثانوي ويبلغ عدد المدارس المتوسطة للبنين ١٩ مدرسة وذلك عدا المدارس المتوسطة للبنات وعددها سبع — وعدد طلاب المتوسطات ٢٧٣٤ طالباً . وعندهم أربع مدارس ثانوية في بغداد والموصل والبصرة والنجف تضم ٢٥٣ طالباً . وتسير الحكومة على سياسة تعميم المدارس الثانوية ليكون في عاصمة كل لواء واحدة منها ومدرسة للمعلمين في بغداد عدد طلابها ١٦٥ .

ويعنى ولاة امور وزارة المعارف بالبعثات العلمية ويرون الاكتفاء بها في الوقت الحاضر ومعنى ذلك انهُ لا توجد هنا فكرة ترمي الى انشاء جامعة للتعليم العالي لان الحالة لا تساعد على التوسع

فيه كما انهم يرون وجوب التريث في انشائها ريثما تتكامل النهضة العلمية الحديثة في بلاد العرب فتقوم في بغداد جامعة عربية كبيرة لنشر الثقافة القومية طبقاً للاساليب الحديثة ويرون ان المسألة مسألة زمان لا اكثر ولا اقل . وقد بلغ عدد اعضاء البعثات ١١٠ في الوقت الحاضر (عدا البنات) فمنهم ٤٠ في جامعة بيروت الاميركية و٢٣ في انكلترا و ٢٦ في مصر و ٤ في فرنسا و ٣ في تركيا و ٦ في المانيا وواحد في النمسا

ويجب ان لا يؤخذ من هذا ان الحكومة العراقية تهمل التعليم العالي ففي بغداد مدرسة للحقوق تخرج للبلاد ما تحتاج اليه من قضاة وموظفين اداريين ومحامين وأخرى للطب ومدرسة للحربية وكانت هنالك مدرسة زراعية اغلقت سنة ١٩٣٠ لان خريجيها انصرفوا الى طلب المناصب والتهافت عليها بدلاً من الاشتغال بالاعمال الزراعية الحرة ، والمدرسة الزراعية الوحيدة في العراق اليوم هي مدرسة الحلة الزيفية وهي تعلم الزراعة تعليماً عملياً لشبان الفلاحين ويشترط في طلابها ان لا يقل سنهم عن ١٨ ولا يزيد عن ٢٥ وقد انشئت في السنة الماضية وعدد طلابها ٨٠

***

وتنفق الحكومة العراقية بسخاء على التعليم فبعد ما كانت ميزانية المعارف ضئيلة جداً لا تزيد على خمسين الف جنيه في العهد السابق بلغت ٣٦١ الف دينار في السنة الماضية زيد عليها ٨٤ الف دينار للسنة الجديدة فبلغت ٤٤٤ الف دينار ولا يدخل في هذا الحساب ما تدفعه وزارة المالية لبناء دور المدارس من ميزانية المشروعات الرئيسية وميزانية الاعمال العمرانية لخمس سنوات ، فقد دفعت في السنة الماضية ٢٥ الف دينار وينتظر ان تدفع مثله لهذا العام . وزيادة في البيان نقول ان الحكومة العراقية تنفق على التعليم بمعدل ٣٧ : ٨ في المائة من معدل دخلها والتعليم في جميع مدارس الحكومة مجاني

***

وفي العراق مدرستان صناعيتان الاولى في بغداد وعدد طلابها ١٩٢ والثانية في الموصل والتعليم فيها متوسط ومجاني وتنشىء الحكومة في العاصمة مدرستان ، للذكور والاناث على الطراز الحديث الاولى لتخريج طبقة راقية من الموظفين والثانية لتعليم بنات الطبقة الراقية تعليماً راقياً وستكون اجور التعليم فيها باهظة وربما افتتحتا في اوائل السنة الدراسية

وتعنى الحكومة بتعليم الاميين وقد فتحت صفوفاً خاصة لهم في المتوسطات والمدارس الابتدائية ويقدر عدد الذين يترددون على هذه الصفوف بعشرة آلاف في انحاء العراق وقد ادرك بعضهم نجاحاً وتسود وزارة المعارف العراقية روح نشاط مشهودة ويدأب رجالها ليل نهار على نشر التعليم وتوسيع نطاقه متخذين لذلك شتى الوسائل وعاملين على رفع المستوى العلمي والاخلاقي في البلاد وقد اثمرت جهودهم ثمرات طيبة تبشر بمستقبل زاهر وكل من سار على الدرب وصل